الأخبار
al-akhbar

رئيس التحرير - المدير المسؤول:
ابراهيم الأمين

نائب رئيس التحرير:
بيار أبي صعب

مدير التحرير:
وفيق قانصوه

مجلس التحرير:
محمد زبيب
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري
شربل كريم

صادرة عن شركة أخبار بيروت

المكاتب **بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق الثامن**
تلفاكس:
01759500
01759597
ص.ب 113/5963

الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500

التوزيع
شركة الأوائل
01 /666314-15 -
03 / 828381

الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

الفصل الجديد

عامر محسن

«الإمارات العربيّة هي شريكٌ استراتيجي للولايات المتحدة. الإمارات لن تقاتل أيّاً من حلفاء أميركا، بل سوف نقاتل في الخندق ذاته، ونهزم العدوّ نفسه... كما حصل في أفغانستان... لا أعتقد أن امتلاك الإمارات لـ«اف-35» سيكون خطراً على إسرائيل. من يعتقد ذلك لا يملك منطقاً... أظنّ أنّه منذ عام 1976 لم يحصل صدام عسكري بين العرب وإسرائيل... لا أرى أن أحدنا يريد قتال الآخرا... حتّى لو اختلفنا حول مسألة معينة فهذا لن يصل إلى مرحلة نذهب فيها إلى الحرب ضدّ إسرائيل. فنحن نفهم جيّداً أنّه، كما أننا حلفاء للولايات المتحدة، فإسرائيل هي حليفٌ آخر للولايات المتحدة. لدينا ما يشبه الأخ الأكبر. لن نتقاتل لأن الأخ الأكبر سيتدخّل ويقول: «هيّا، توقفوا عن الشجار»... الرسالة الوحيدة التي يمكن أن أوصلها هي أن (أنصحكم) بالاستماع إلى الشيخ محمد بن زايد... هو مرشدنا، والحكمة تخرج من هذا الرجل. ونحن نرنو إليه. نحن نعبده ببساطة».
وكيل وزارة الدفاع المساعد في الإمارات، اللواء ركن طيار عبد الله الهاشمي، في حديثٍ خلال «مؤتمر دبي لقادة القوات الجوية».

لدى الصديق ابراهيم مالك - وهو كاتب من السعودية - نظريّة عن أنّه في السنوات الأخيرة، وتحديداً منذ حرب سوريّة، اختلفت شروط المعركة مع المشروع الصهيوني الغربي في منطقتنا بشكلٍ جذريّ، إذ زالت المسافة بين العربي الذي يعمل في هذا المشروع وبين الإسرائيلي. المدّ العلني لجسور التحالف بين «عرب أميركا» وبين إسرائيل، وتحديداً في المواضيع الأمنية والعسكريّة، قد يشكّل المرحلة الأخيرة في هذا التّماهي. نقرأ خبراً عن أنّ وزير الخارجية الإسرائيلي - إسرائيل كاتس - قد أبلغ الكنيست بأنّه التقى شخصيات رفيعة المستوى في أبو ظبي وتمّ الاتفاق على أن تنضمّ إسرائيل إلى التحالف «البحري» في الخليج، الذي تقوده أميركا وتشارك فيه دول مجلس التعاون. وأضاف كاتس (في كلامه إلى لجنة الخارجية والدفاع في الكنيست) أنّ إسرائيل ستقدّم «معلومات استخبارية وأشكال أخرى من الدعم» إلى التحالف الغربي-العربي. هذه هي المرّة الأولى التي تشارك فيها دول عربيّة، مباشرةً، في حلفٍ عسكريّ مع إسرائيل، ولا يجد الوزير الإسرائيلي غضاضةً في إعلان الأمر أمام وسائل الإعلام.

عدا عن ذلك، حين تراقب الصحافة الخليجية والثقافة السياسية «الجديدة» التي يتمّ بثّها حول الصراع مع الصهيونيّة والتعامل مع الكيان (مع جرعة العنصرية، اللازمة، ضدّ الفلسطينيين)، و«تويتر» يسمح لك بأن تفهم بوضوح الوجهة السياسية التي تحثّ عليها الحكومات، فأنت تتيقّن من أنّ الهامش - حتّى بالمعنى الخطابي، الثقافي - بين المقاومة وأعدائها قد زال (قمت مؤخّراً بتسجيل حساب على «تويتر» باسم مزيّف، فأصبح في وسعي متابعة هذه الأمور). الطائفيّة هنا «حجّة» وليست سبباً؛ بمعنى أنّ المقاومة، لو كان مركزها مصر، والنظام الإيراني يقف مع أميركا وإسرائيل، لما كانت هناك مشكلة مع الشيعة والفرس. وسوريّة أيضاً هي «حجّة» مناسبة لمن يريد أن يشتغل ضدّ المقاومة، وأن ينال ثمار ذلك الموقف وينتمي إلى المؤسسة الثرية - سواء في الغرب أو في عالمنا العربي (ولا يهمّ أنّ الأحداث على الأرض، وتكشّف الحقائق مع الزّمن، يجعل من سرديّتهم أضحوكة).

إن أردتم أن تفهموا كيف تعمل «الإمبريالية» فأنت تجد أثرها هنا تحديداً، حين يقف في جبهةٍ واحدة: الإسلامي مع العلماني، السّعودي مع القطري، المنظّمات الدولية مع المنظمات السلفية المسلّحة، الإخواني والتروتسكي؛ ومتناقضاتٍ تتقاتل وتتصارع في ساحاتٍ أخرى، ولكنّها وقفت صفّاً واحداً في سورية حين كانت الحرب في أوجها، فهذا ما تفعله الإرادة الإمبرياليّة حين توجّه نفسها ضدّ هدفٍ معيّن، ثمّ يعودون إلى الافتراق بعد ذلك (كانت هناك حالة مشابهة للغاية في الثمانينيات، خلال الحرب على إيران، حين كنت تجد العلماني والإسلامي، القومي العربي وربيب النظام الخليجي، واليساري والناصري وحسني مبارك، كلّهم فجأةً في جبهةٍ واحدة، يراهنون على صدّام - وأكثرهم أنكره وتخلّى عنه، وترك العراق يحتضر تحت الحصار، ما أن تصادم مع أميركا).

الحقيقة هي أنّ هذا هو سياقنا اليوم، وهؤلاء هم الناس الذين يعيشون حولك، والنخب والحكومات التي تتعامل معنا ومع مستقبلنا. المواجهة لم تبدأ أمس، ولكن ما تغيّر في الأيّام الأخيرة هو أنّ الحرب الباردة لم تعد كذلك، ورأس الحربة ليس أميركا هذه المرّة، بل إسرائيل، ونحن ما زلنا في البداية. هذه المواجهة، لحسن الحظّ، لا تجري على مستوى الإعلام والثقافة (أقول دوماً إنّه لو كانت الحرب يكسبها من يستقطب المثقفين والطبقة الوسطى، لكانت المقاومة قد هُزمت منذ أمدٍ بعيد، ولكانت السفارة الأميركية في بيروت أو بغداد أقوى من أيّ حركة شعبية في البلد)؛ المواجهة هنا تعتمد على جيلٍ تشكّل في إقليمنا، احترف الحرب، وتحضّر باستمرارٍ في صمت، وهو مستعدٌّ للقتال والتضحيّة.

«حربٌ إقليمية»

كما أنّ «ملّة الكفر واحدة»، فإنّ المقاومة، على الجانب الآخر، تقاتل بلا حدودٍ على مستوى الإقليم. كان طريفاً أنّ إسرائيل قد انتبهت إلى هذا الواقع وأخافها، وأعلن نتنياهو أنّه سيضرب المقاومة في كلّ مكان، في فلسطين ولبنان وسوريّة والعراق واليمن، ونفّذ تهديده، ولا يرى العديد من المحللين والمثقفين العرب ما رآه نتنياهو، حتّى حين يوحّدهم عدوّهم عبر الغارات والقصف. هذه الحال ليست جديدة؛ التاريخ السياسي للشرق الأوسط يقوم كلّه على حروبٍ تجري في أكثر من بلد، وصراعٍ يشتعل في العراق فيمتدّ إلى لبنان، وتصلُ آثاره إلى سوريّة وفلسطين (وهو ما يغذّي سرديّة مظلوميّة رائجة في أكثر من بلدٍ عربي، أولها لبنان، عن «حروب الآخرين على أرضنا»؛ كأنّ هناك من لم يتدخّل، بالمثل، في أرض الآخرين وحروبهم؛ وكأنّ هذا هو سبب انتفاء السيادة والمنعة، وليس عارضاً من عوارضه). يروي المؤرّخ حازم قنديل في كتابه عن «جمهوريّة يوليو» أنّ ما دفع بريطانيا وفرنسا إلى التحالف لضرب عبد الناصر كان يتجاوز السيطرة على مصر في ذاتها، بل كانت بريطانيا تخشى على حلفائها في الخليج والعراق من التمدّد الناصري، فيما كانت فرنسا تعتزم ضرب عبد الناصر بسبب دوره في دعم الثورة الجزائرية - وبالفعل، فإنّنا ندفع إلى اليوم ثمن هزيمة عبد الناصر أمام خصومه، ولو لم تنجح الجزائر في نيل كيانها، لكنّا اليوم في سياقٍ أكثر ظلمة حتّى من وضعنا الحالي. النّظريّة «الانعزالية»، عدا عن أنّها وهمٌ فهي - في كلّ بلد - حجّة العدو والمشبوه.

أزعم بأنّ أحداث السنوات الماضية قد خلقت واقعاً جديداً في المنطقة، وضاعفت من قدرة المقاومة؛ ونظريّتي هي أنّ نتنياهو ليس متهوّراً ولا مغامراً، بل إنّ إسرائيل قد فهمت هذا الواقع وتبعاته القادمة أكثر من واشنطن - التي تعمل أساساً بمنظور المدى القصير - وهي ستفعل أيّ شيءٍ لمنعه من التجذّر، ولو بثمن حربٍ مفتوحة. هنا، الانشقاق السياسي في الخطاب العربي يصل إلى التعابير والمفردات: نتنياهو، ومعه قسمٌ كبير من النخب العربية، يقدّمون الحرب على أنّها ضدّ «إيران وأذرعها»، كما كان كلّ مقاومٍ عربيّ في الستينيات «عميلاً» للاتحاد السوفياتي. الطّريف هو أنّ من يوصم بعملاء إيران، في لبنان واليمن وفلسطين والعراق، هم من يشكّل - بالمعنى الأكاديمي - أقرب ما يكون إلى الحركات الشعبية الحقيقية في هذه البلدان. ولكن لا ضير في ذلك، فالمقاومون بالفعل جبهةٌ واحدة، ولولا إيران والحرس الثوري، لكان المقاومون وحيدين فعلاً، وكنّا سنقع تحت رحمة الأنذال.

لا يمكن تلخيص المعنى الاستراتيجي لما حصل في السنوات الماضية في مقال. وقد لا يريد الكثيرون فهم ما جرى، أو جمع الصورة المتفرّقة، ولكن إسرائيل ترى هذه الأمور جيّداً. الحرب في اليمن لن تنتهي، فحسب، بفشل الغزو ومنع استئصال «أنصار الله»؛ اليمن سيخرج من الحرب بلداً مختلفاً عن اليمن الذي عهدوه في الماضي: بلدٌ نال استقلاله وسيادته عبر القتال وخرجت حريته من رحم حربٍ أسطورية، فهو لن يكون تابعاً من جديدٍ. بلدٌ أصبح قوّةً صاروخية (سيحافظون عليها، وتتزايد وتتطوّر من غير شكّ)، تضع كلّ عواصم الخليج في مرماها، وتشرف على أهمّ خطوط الملاحة في العالم. في العراق تكوّن جيشٌ حقيقي للمقاومة، وُلد أيام الاحتلال وأصبح عملاقاً بعد الحرب ضدّ «داعش» إن شئتم شهادة غربيّة، فاقرأوا تقرير مايكل نايتس في «معهد واشنطن» - الصهيوني - الذي يتتبّع توسّع فصائل المقاومة في العراق. التقرير فيه نواقص ولكنّه يشير إلى الاتجاه العام للأمور: بحسب نايتس، ارتفع عديد «المجموعات الخاصة» في العراق من أقلّ من 4 آلاف مقاتل أيّام الاحتلال إلى ما يزيد عن 60 ألفاً اليوم؛ كانت فصائل صغيرة، متخفيّة، لا تعرف أسماء قادتها إلا من لوائح الإرهاب الأميركية، فأصبحت جحافل منظمة في عشرات الألوية (يقدّر التقرير مثلاً أن «كتائب حزب الله» - «السريّة» - كان لديها أقل من 400 مقاتل قبل عام 2010، فأصبحوا أكثر من عشرة آلاف اليوم). هذه مجموعات لها مشارب ومرجعيات وقيادات سياسية مختلفة، ولكنها كلها تتشارك التراث السياسي ذاته وتقاتل سوية. «حزب الله» أصبح قوّة إقليميّة، والحرب في سوريّة أصبحت في خواتيمها. هذه هي الوقائع الجديدة التي تشكّلت في السنوات الماضية، بأثمانٍ باهظة ونضالٍ ودم، هذا هو الخطر الذي تقصفه إسرائيل اليوم، وهو ما نستعدّ لخوض الحرب من أجل الدفاع عنه.

ساعة الحقيقة

المسألة ليست في أن تختار الحرب أو تتحمّس لها، فالخيار اتّخذه عنك العدو، والحرب قد فرضت عليك؛ السؤال الوحيد هو أين تقف منها؟ الردّ على ضربات إسرائيل في العراق ولبنان وسوريّة، وكلّ ما سينتج عن ذلك، هو ليس قراراً بأن تفتح على نفسك حرباً، ولا ضربة ثأريّة نستردّ بها حقّ الشّهداء، بل هي قبل أيّ شيء دفاعٌ عن النّفس وتسعيرٌ لثمن حياتنا في هذا العالم. الجميع يعرف - والتجربة تثبت - أنّه لو ضربك العدوّ واستكنت أبكم، فإن إسرائيل لن تتركك، بل ستضرب كلّ يومٍ في كلّ مكان، من العراق إلى اليمن، وستفتتح سنّةً جديدة لها ولحلفائها العرب والغربيين. الحرب قائمةٌ أصلاً، لمن لا يعلم، واليمنيّون يضربون السعوديّة في كلّ يومٍ ويوسّعون هجماتهم ويزداد أثرها (الحياةُ في أجزاء كاملة من جنوب السعوديّة قد أصبحت صعبة، والمطارات غير آمنة، والإعلام يفعل جهده لإخفاء ما يجري)، وهذا وحده - وليس التراجع والتنازل - هو ما سيعصمهم وينهي الحرب في اليمن.

حين تحين ساعة الحقيقة، فإنّ ما يقرّر كلّ شيء هو استعدادك للتضحية. البعض يسخر من التشديد على فكرة التضحية والفداء في التراث الديني، ويعتبرها أخلاقيات غير عقلانيّة، وذلك لأنّه لا يفهم الدور الأساسي (والضروري والعقلاني) لعقليّة البذل والاستعداد للتضحية في مسار أيّ مجتمع يتعرّض لمواجهةٍ وصراع. إن كنت غير مستعدٍّ لأن تخاطر بشيءٍ «على الطاولة» فأنت لن تتمكّن من الفعل والمناورة. من خاض حروباً طويلة يفهم العلاقة المباشرة بين أن تعيش حرّاً في أرضك، وأن يكبر فيها أطفالك في عزّة، وبين الشّهداء الذين شيّعتهم على هذا الطّريق. ومن عرف النّصر والتحرير يصبح أكثر استعداداً للتضحيّة، لأنه لا يقبل بالرجوع إلى الوراء؛ هذا النوع من الناس تحديداً لا يمكنك ردعه عبر التهديد بالحرب.

لهذا السّبب لست أتعاطف مع الدعوات التي تقول إنّ «الحلّ» للغارات الإسرائيلية في العراق، مثلاً، هو في أن تشتري الـ«اس-300» أو غيره. كأنّ هناك علاجاً «تقنياً» لمشكلةٍ من هذا النوع (على الطريقة الخليجية، إن كانت هناك معضلة، فاشترِ حلّاً لها). في هذا المجال تحديداً لا يمكنك شراء الأمان، والطريقة الوحيدة للدفاع عن نفسك ضدّ من يعتدي عليك - وخاصّة ضدّ عدوٍّ كإسرائيل - تبدأ بأن تكون مستعدّاً لفعل أيّ شيء، مهما كان الثّمن، لتردّ على المعتدي بلغته - وإلّا فقد خسرت اللعبة قبل أن تبدأ، وسيمتطيك كلّ الناس.

في هذه اللحظات تحديداً لا معنى للتحليل العسكريّ، فقد أصبحت الكلمة للميدان. المفاجآت وعوامل البأس واستعدادات السنوات الماضية سوف تتكلّم عن نفسها. كلّ ما يمكن فعله الآن هو أن تفهم المكان الذي نحن فيه، ومن هم أعداؤك وحلفاؤك، وتتذكّر لماذا نخوض الحرب. الآن هو ليس الوقت لمواجهة جوقة الداخل، التي أصبحت تراهن على «حليفها» نتنياهو أو التي تطرح مختلف وصفات الاستسلام تحت صيغة «العقلانية»، جلّ ما يمكن فعله هو أن ندوّن في عقولنا موقف هؤلاء في ساعة الحرب، وألّا ننساه في المستقبل.

خاتمة

إسرائيل، فعلياً، هي من يندفع إلى الحرب. قصفٌ يتقصّد استجلاب ردّ، واعترافٌ فوريّ بالغارات، وتوسيعٌ لرقعة الأعداء. بالحساب العقلاني، قد تكون هناك - بالفعل - أسبابٌ لإسرائيل لكي تختار الحرب اليوم، وليس غداً. الخليج بدأ ينسحب من حرب اليمن، العراق لا يزال تحت الهيمنة الأميركية ولكن هذا لا يبدو أنه سيدوم، الحرب في سوريا لا تزال مفتوحة، وإن كانت في مراحلها الأخيرة. هذه «الفرص» لن تكون متوافرة في المستقبل القريب. اليوم تواجه إسرائيل انتشار الصواريخ البالستية من حولها، وغداً ستواجه تهديد الصواريخ الجوالة (أو هي أصبحت، أصلاً، في ترسانة المقاومة؟)، وبعد غد تبدأ أنظمة الدفاع الجوي بالانتشار. فوق ذلك كلّه، فإن إسرائيل يمكنها اليوم أن تخوض الحرب في جوٍّ إقليميٍّ مؤاتٍ، فيه ابن سلمان وابن زايد ومعسكر عربي كامل مستعدٌّ لمناصرة إسرائيل (لحسن الحظّ أنهم لا يقدرون على القتال). قد تبدو الظروف، من وجهة نظر تل أبيب، «مثالية» اليوم لحرب قد تصبح، سريعاً، أكثر صعوبة. ولكن هنّا لا يجب أن ننسى المرّة الأخيرة التي خطّطت فيها إسرائيل لحرب من هذا النوع، وكانت الظروف أيضاً «مثاليّة»، والكلّ يجتمع ضدّ المقاومة. كان ذلك في مثل هذه الأيام من عام 2006.

فوج بمحلة كربلاء
العين قاومت المخرز

(افب)

> في هذه اللحظات تحديداً لا معنى للتحليل العسكريّ، فقد أصبحت الكلمة للميدان

التصعيد الإسرائيلي: احتمالات الانزلاق إلى حرب إقليمية

عبدالله السناوي *

التصعيد الإسرائيلي بالنيران على أكثر من جبهة في توقيت واحد غير مسبوق بمستوى اندفاعه وغير اعتيادي بحجم استفزازه. اتساع رقعة العمليات وتزامنها يومئ إلى انزلاق محتمل لحرب إقليمية واسعة تشمل سوريا والعراق ولبنان وغزة، غير أن هذا الاحتمال يبدو في الوقت نفسه شبه مستبعد بالنظر إلى حسابات دولية وإقليمية ماثلة. بين ما هو محتمل للانزلاق والحسابات الماثلة تبدو التصرفات الإسرائيلية أقرب إلى حماقات قوة لا تدرك أنها تملك الرصاصة الأولى لا كل الرصاص، الضربة الأولى لا كل الضربات. لا أحد في الإقليم يريد مثل هذه الحرب خشية كلفتها الإنسانية الباهظة، أو ما قد يترتب عليها من تخريب في البنى الأساسية المنهكة واهتزازات في قدر الاستقرار الداخلي، غير أنه لا يمكن استبعادها أو نفي احتمالاتها. الإسرائيليون أنفسهم لا يريدونها ويعرفون عواقبها الوخيمة على أمنهم ذاته، الذي باسمه قاموا بعمليات التصعيد العسكري.

الفكرة الرئيسية في ذلك التصعيد تعود إلى جوهر نظرية الأمن القومي الإسرائيلي، إن الدولة العبرية قادرة على الردع والترويع ودخول معارك متزامنة على أكثر من جبهة لتفكيك إرادة الأطراف الأخرى. وقد عرضت القيادة الإسرائيلية آخر طبعات نظرية أمنها القومي على النحو التالي: أن أجهزة استخباراتها رصدت وتابعت قبل بضعة أسابيع عملية نقل طائرات مسيّرة من طهران إلى دمشق لتحميلها بالمتفجرات قبل توجيهها لمواقع في شمال إسرائيل، تحت إشراف قائد فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني اللواء قاسم سليماني.

هذه نقطة أولى في الرواية الإسرائيلية المشكوك في صحتها أريد بها - كما هي العادة - التأكيد على يقظة الأجهزة الاستخباراتية الإسرائيلية وجاهزيتها في جمع المعلومات والاختراق قبل توجيه الضربات العسكرية التي قيل إنها استباقية. بصياغة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو لنظرية الأمن القومي في آخر طبعاتها: «إذا جاء شخص لقتلك، قم واقتله أولاً» مقتبساً التعبير من التلمود بهدف التأثير على اليمين الصهيوني الأكثر تطرفاً. الجديد هذه المرة الاعتراف الإسرائيلي بما قامت به على عكس عشرات المرات السابقة مما اعتبر تغييراً جوهرياً في مواجهة ما تسمّيه التمركز الإيراني في سوريا. وقد كانت الضربات التي وجهت لمخازن سلاح ومواقع وقيادات في «الحشد الشعبي» بالتوقيت نفسه تطويراً لذات النظرة. حسب المحللين العسكريين الإسرائيليين فإن الهدف من هذه التفجيرات، التي ضربت في العراق وسيادته قبل الحشد وتنظيماته، هو «منع إقامة قواعد صواريخ باليستية في العراق قادرة على ضرب إسرائيل» و«عرقلة شق ممر تهريب بري يسمح بنقل صواريخ وأسلحة إيرانية إلى مخازن حزب الله في بيروت».

هذا خيار أمني جديد يجب التوقف عنده بالالتفات والتحليل، وهو يؤشر إلى متغير جوهري في قواعد الاشتباك له انعكاساته على الداخل العراقي ومستويات تماسكه الوطني أمام استباحة أمنه وأجوائه رغم التواجد العسكري الأميركي فوق أراضيه. بصياغة نتنياهو فـ«أنا لا أمنح إيران الحصانة في أي مكان» مشيراً على وجه التحديد إلى سوريا والعراق ولبنان واليمن، دون أن يتطرق إلى إيران نفسها، التي تحصنها قوتها العسكرية من أي عمليات من هذا النوع خشية ردات الفعل والدخول في حرب إقليمية واسعة. المعنى – هنا – أن نتنياهو يطلب الردع لا الحرب، لكن يظل الانزلاق محتملاً. هذه صياغة جديدة عند الحافة لقواعد الاشتباك.

التطور الأخطر في خرق قواعد الاشتباك كان سقوط طائرتي استطلاع إسرائيليتين في الضاحية الجنوبية للعاصمة اللبنانية بيروت، ثانيتهما كانت مفخخة وأدى انفجارها إلى أضرار بالغة في مركز إعلامي تابع لـ«حزب الله». لم يحدث مثل هذا الاختراق منذ عام (2006)، وهو ما استثار غضب زعيم «حزب الله» ملوّحاً بما وصف برد متناسب ومدروس خلال الأيام المقبلة.

لم يكن مستعداً أن يتقبل تحت أية ذريعة العودة إلى ما قبل عام (2000) عندما كان لبنان مستباحاً بالكامل للغارات الإسرائيلية، تأتي وقتما تشاء وتضرب وقتما تشاء دون أي ردع. ولم يكن مستعداً – بنص كلامه – أن يجري على لبنان ما يجري حالياً في العراق من غارات وضربات دون ردّ، معتبراً أن هذا مسار يضرب في صدقية المقاومة واحترامها لنفسها ولبلدها.

الإسرائيليون أخذوا تهديدات السيد حسن نصر الله على محمل الجد، أُخليت حواجز في مزارع شبعا واتخذت إجراءات أمنية مشددة في أماكن عديدة تحسّباً لردٍّ ما لا يعرفون متى وكيف وأين؟ فيما هو جديد هذه المرة ما قرره المجلس الأعلى للدفاع في لبنان من أنه من حق اللبنانيين الدفاع عن أنفسهم. هذه رسالة تحذير معلنة أن ما قد يقدم عليه حزب الله من رد سوف يكون محاطاً بسياج من شرعية الدولة وقبولها المسبق.

وفيما اعتبره الإسرائيليون «نكسة أمنية» فإن «ذاكرة الطائرة الأولى» صارت في حوزة خبراء حزب الله، الذي يتكتم حتى الآن ما قد يكون قد حصل عليه من معلومات. السياق الأمني يفسر جانباً من أسباب التصعيد العسكري الإسرائيلي على ثلاث جبهات في وقت واحد، لا كل الجوانب، كما لا يلخص بمفرده المشهد الإسرائيلي قبل أسابيع من انتخابات الكنيست في 17 أيلول /سبتمبر المقبل.

هناك فرضية متواترة وعلى قدر كبير من التماسك تعزو تصرفات نتنياهو إلى اقتراب الانتخابات والوضع الحرج الذي يجد نفسه فيه على خلفية اتهامه مع زوجته بالفساد واحتمالات الزج به في السجن إذا ما خسر هذه الانتخابات، أو لم يتمكن من تشكيل الحكومة الجديدة على النحو الذي حدث بعد الانتخابات الأخيرة ما استدعى حل الكنيست والعودة إلى صناديق الاقتراع. بتعبير حليفه السابق الأكثر تشدداً وخصمه الانتخابي الحالي أفيغدور ليبرمان فإن ما يفعله نتنياهو «حفل ثرثرة في العلاقات العامة الانتخابية».

الأجواء التي لاحقت نتنياهو بالصور والأحاديث بدت أقرب إلى أعمال المسرح من أعمال القتال، فالمجلس الأمني الإسرائيلي يجري اجتماعاته في مخبأ محصن تحت الأرض، كأن الحرب قد قامت وإسرائيل في خطر وجودي والحفاظ على حياته من ضرورات كسب الحرب، ربما يقصد كسب الانتخابات. استخدام ورقة التهديدات الأمنية قاعدة عامة في المواسم الانتخابية الإسرائيلية، لكن نتنياهو أفرط في استخدامها لنفي اتهامات تلاحقه بإضعاف الجيش الإسرائيلي أمام حركة «حماس» في قطاع غزة، وعجزه عن إلحاق هزيمة سياسية بإيران رغم توافر حلفاء إقليميين لم يكن من المتصور أن يقفوا في معسكره.

لهذا السبب أدخل غزة في نطاق عملياته العسكرية، خرق الهدنة وقصف مواقع واشتبك مع مقاتليها، بالإضافة إلى استهداف موقع لـ«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة» في سوريا. المثير في القصة كلها ذلك النزوع الإسرائيلي إلى التصعيد العسكري غير المحسوب، الذي قد يفضي إلى حرب إقليمية لا يمكن استبعادها بالفعل ورد الفعل، فيما تميل إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى نوع من التهدئة مع إيران وفي ملفات إقليمية أخرى مثل الحرب في اليمن قبل الانتخابات الرئاسية الأميركية بعد عام.

هناك فرضية تتحدث عن صراعات داخل الإدارة الأميركية بشأن إيران والتصعيد العسكري الإسرائيلي، الذي يحظى بدعم معلن من رجال مثل جورج بومبيو وزير الخارجية ومايك بينس نائب الرئيس وجون بولتون مستشار الأمن القومي، فيما لا تخفي مؤسسات أخرى مثل البنتاغون انزعاجها من ضرب العراق حيث يمكن أن يتعرض الضباط والجنود الأميركيون للخطر إذا ما أفلتت الأمور من عقالها، أو دفع الأمور إلى حرب إقليمية ليست في صالح الولايات المتحدة. كما هي العادة في مقامرات السلاح فإن الحسابات الدولية والإقليمية سوف تحكم إلى حد كبير التفاعلات وتضع لها حداً شرط أن تتوافر لها القدرة على لجم هوس التصعيد الإسرائيلي.

> نتنياهو يطلب الردع لا الحرب، لكن يظل الانزلاق محتملاً

* كاتب مصري